سلاح الدمار الشامل في الحرب ضد العراق

بقلم:
سميرة رجب

يعتمد أساس البناء العولمي في النظام العالمي الجديد على تغيير جميع المفاهيم القديمة المتعلقة بالجزئية الوطنية لتتحول إلى علاقات ومفاهيم العالمية، أي هي في مجملها عملية تحول الرأسمالية الوطنية الى رأسمالية عالمية، وتحول الشركات الوطنية الى شركات متعددة الجنسيات اي شركات عالمية، كما يجب أن تتحول المناهج والثقافة الوطنية الى مناهج وثقافة عالمية تخلو من النزعة الوطنية وكل ما له علاقة بالتراث والحضارة والتاريخ الوطني. من هنا تنتهي جميع العلاقات التي تدعى بالوطنية، وخصوصا تلك العلاقات الاقتصادية والسياسية والسيادية، لتتحول لعلاقات بين الدولة والشركات، فتلتزم جميع القرارات بالمصلحة العالمية قبل التزامها بالمصلحة الوطنية، وما العالمية هنا الا المصلحة الأمريكية البحتة في القرن الأمريكي الجديد، بهذا المنظور يتم اليوم الحديث عن السيادة الوطنية لكل بلد في اطار مدى تضارب مصالح ومواقف أية دولة مع المصالح العولمية الأمريكية، وفي هذا الاطار أيضا تتم صياغة قرار إلغاء أو استبدال سيادة أية دولة في العالم حسبما تتطلبها هذه المصالح الأمريكية، وهذا ما تم بالنسبة إلى العراق، عندما تم صياغة القرار الأمريكي بإلغاء سيادته والحاق موارده النفطية الغنية لحساب الولايات المتحدة، ضمن مخطط متكامل يستهدف الحفاظ على مصالح الهيمنة الامبراطورية الأمريكية في المنطقة العربية، فجاء التنفيذ بمستوى ضخامة القرار ولا شرعيته ولا انسانيته.

كان النفط العراقي هدفا غربيا منذ عام ١٩٧٢، عندما اعلنت الحكومة العراقية آنذاك بقيادة الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر قرارها الوطني بتأميم النفط وجعله ملكا وطنيا للعراق وليس ملكا عولميا للشركات الغربية. هذا القرار الخطير، آنذاك، أدى الى رفع قدرات الاقتصاد العراقي إلى مستوى متقدم جدا مما مكن من بناء الدولة العراقية الحديثة بكل عمرانها وصروحها التعليمية والعلمية الحديثة، ووفر الرخاء الاقتصادي لأول مرة للشعب العراقي، كما جعل بامكان العراق أن يتقدم علميا وصناعيا الى مستويات الدول الصناعية بتأسيس البنية الأساسية للصناعة الوطنية، والتقدم نحو الصناعة العسكرية المتطورة والمحظورة، ضمنا، على جميع دول المنطقة عدا اسرائيل. فكان قرار بناء دولة صناعية عربية قوية وقادرة في نفس الوقت على التصنيع العسكري بقوة اقتصادية عالية وبأدمغة وعقول عربية هو القرار الوطني الثاني الذي تتخذه الحكومة العراقية خارج النظام «العولمي» وباتجاه معاكس لمصالح القوة الأمريكية العظمى في المنطقة حسب رؤية راسمي السياسات الأمريكية. تم كل ذلك في عهد الحكومة العراقية البعثية التي استطاعت الادارات الأمريكية المتعاقبة بمؤسساتها ومعاهد دراساتها المختلفة من العمل على تشويه صورة نظامها الحاكم وتكريس كل ما تملك الولايات المتحدة من وسائل اعلامية وعلمية لوضعه في خانة الأنظمة غير الجديرة بحكم العراق والشعب العراقي، لسبب واحد ووحيد لم تعلنه الادارات الأمريكية وهو ان هذه الحكومة عملت على بناء دولة عربية تملك بنية تحتية صناعية وعسكرية وعلمية واقتصادية صلبة وقوية، اضافة الى قوة انمائية تعتمد على قوة بشرية عالية الجودتين العلمية والثقافية، مما يهز ويهدد «الأمن والوجود الاسرائيليين» والمصالح السياسية والاقتصادية المستقبلية للامبراطورية الأمريكية في منطقتنا العربية التي كانت ولاتزال منذ عصر الحرب الباردة وحتى اليوم منطقة نفوذ أمريكية.

«وضعت الإدارة السياسية الأمريكية أمامها هدف احتلال العراق بأي ثمن، فكان على الإدارة العسكرية الأمريكية أن تستعد بكل آلياتها العظمى لتحقيق ذلك الهدف»

في عملياتها الحثيثة لاسقاط هذا النظام والقضاء على السيادة العراقية باحتلال العراق اعتمدت الادارات الأمريكية على الخلافات العربية المفتعلة بين الأنظمة الحاكمة العربية، كما اعتمدت على الخلافات بين مختلف القوى السياسية العربية التي قضت تاريخها في التناطح بحثا عن المواقع المتقدمة على حساب المصلحة العربية والقومية العليا، وكانت ترى في الحزب الحاكم في العراق عدوا يجب التخلص منه بأي ثمن حتى لو كان الثمن احتلال ودمار العراق بأكمله. وهكذا كان، فهل حققت هذه الأنظمة وهذه القوى أهدافها، أم انها، وكما نرى اليوم، تحولت هي نفسها الى أهداف جديدة ضمن مخطط القرن الأمريكي الجديد؟

لم يكن الاحتلال للعراق سهلا، وهذا ما تحاول الادارة الأمريكية بكل أجهزتها ان تنكره بل تمحوه من الذاكرة العربية، تارة بالتعتيم الاعلامي وتارة بأساليب الخديعة الاعلامية الأمريكية المتلاعبة بالعقول. لقد وضعت الادارة السياسية الأمريكية أمامها هدف احتلال العراق بأي ثمن، فكان على الإدارة العسكرية الأمريكية أن تستعد بكل آلياتها العظمى لتحقيق ذلك الهدف، فكان القرار السياسي والعسكري رهيبا وغير مسبوقا في التاريخ.

لقد تمكنوا من العراق، ولكن من المهم ومن الواجب أن نعرف كيف حدث ذلك، كما يجب أن يعرفه جميع أبناء الوطن العربي المخلصين، وكذلك يجب أن يذكره التاريخ الذي سوف تحاول جميع الآليات الاعلامية والبحثية والعلمية الغربية أن تطمسه ضمن شريعة «إن التاريخ يكتبه المنتصرون» كما حدث بعد جميع الحروب غير العادلة على مر العصور.

لقد تم الاعداد لهذا الاحتلال، ببرامج كبرى على مدى أكثر من عشرين عاما انتهت بتلك الأعوام الثلاثة عشر من الحصار الجبار الذي لا يستطيع أن يقاومه أي شعب في العالم. تم تجويع الشعب العراقي كما تم تجريد النظام العراقي من سمعته الوطنية والقومية، وتم تجريد العراق من كامل أسلحته كما تم تجريده من جميع وسائله السياسية والدبلوماسية للدفاع عن نفسه، وتم بسط نفوذ المفتشين الدوليين على العراق واهانته، كما تم زرع مختلف أجهزة الاستخبارات على أرضه وفي مجتمعاته المختلفة، لم تكتف قوى العدوان بهذا القدر من التجهيز للوصول الى اللحظة الحاسمة في القضاء على العراق، الذي كان ذنبه الوحيد انه تجرأ على العمل على صناعة وامتلاك القوة لحماية سيادته القومية خارج إرادة القوة العظمى الأمريكية، بل استمرت في حشد جميع قطاعاتها العسكرية حول العراق ومنافذه، بجانب حصولها على الدعم والمساعدة الكاملين من جميع الأنظمة العربية من دون استثناء، للعدوان على العراق واحتلاله، من خلال وجودها العسكري على الأراضي العربية ومن خلال توفير كامل الوسائل الاعلامية والنفسية والسياسية في جميع البلدان العربية في خدمة العدوان، وبقمع المظاهرات وقمع كل معارضة شعبية لهذا العدوان اللاإنساني، بجانب مختلف المساعدات الفنية واللوجستية المطلوبة.

ولكن بالرغم من كل هذين التجهيز والترهيب المنقطعي النظير للجيوش العدوانية، وعندما جاءت اللحظة الحاسمة ودخلت هذه الجيوش بكامل عدتها وعتادها التكنولوجي في الحرب ضد ذلك الشعب الأعزل والمحارب، من دون أي غطاء شرعي دولي، كانت المقاومة الباسلة التي واجهوها على الأرض العراقية غير متوقعة بالنسبة إليهم، فكانت الغارات الشديدة التي أنزلت آلاف الأطنان من القنابل والصواريخ المختلفة على العراق بكامله، وتم قصف بغداد في ٢٧٥٠ غارة وطلعة جوية، وتم تنفيذ ما يدعونه بالقصف المكثف أو (هى قُّة مُّفكُّ) على بغداد، وكل ذلك لم يدفع القيادة العراقية ولا الشعب العراقي إلى الاستسلام، مما دفعهم إلى الاتجاه بأقصى سرعة ممكنة بقواتهم لاحتلال بغداد بهدف انهاء المعركة بنصر سريع وحاسم حسب خطتهم الموضوعة سلفا وهي استعمال قوتهم العظمى، السلاح النووي التكتيكي (قُّ فمُّكُّخُّقَّ)، وذلك لتجنب اطالة أمد الحرب والدخول في خلافات شديدة مع الشرعية الدولية الرافضة لهذه الحرب منذ البداية.

هذا ما أكده الأسبوع الماضي شهود عيان من أكبر المصادر والقيادات السياسية العربية التي كانت موجودة بجانب الشعب العراقي وتمكنوا من الخروج من العراق بعد ذلك. لقد تم استعمال قنابل نووية تكتيكية صغيرة في معركة المطار التي كان يقودها الرئيس العراقي صدام حسين بنفسه، وتم التراجع العراقي، ولكن لم يكتفوا بذلك فقد تم استعمال السلاح النووي مرة أخرى في ذلك اليوم في منطقة المجمع الرئاسي في الكرخ، وتمت السيطرة الأمريكية على بغداد بعد ان أوقعوا فيها ألوف القتلى والجثث المتفحمة بالسلاح النووي. حدث كل ذلك بينما كانت قوات أمريكية في مواقع أخرى تعمل على شل حركة جميع وسائل الاعلام ومحاصرتها في مناطقها في بغداد لفرض التعتيم الاعلامي بعدم تمكين الاعلام من الوصول الى مكان المعارك واكتشاف الوضع الخطير وآثار الدمار النووي المروع في تلك المناطق لحين الانتهاء من تنظيفها، هذا ما حدث في بغداد بعد أن تمكنت القوات الأمريكية من استخدام أجهزة مخابراتها لاختراق بعض ذوي النفوس الضعيفة التي باعت نفسها وأرضها وسربت بعض الخطط العسكرية، مما جعل الضربة الأمريكية قاصمة وحاسمة وسريعة، وكانت سببا في استسلام بعض القطاعات الحربية من الجانب العراقي بعد ذلك وسقوط بغداد، وانهاء المعركة الرئيسية للدفاع عن بغداد وإقصاء جميع أفراد القيادة العراقية.

ونكرر ونؤكد هنا كل ما جاء على لسان شهود العيان من مختلف المصادر العراقية والعربية التي استطاعت الخروج من العراق بعد الحرب، لقد استعملت الولايات المتحدة السلاح النووي التكتيكي (قُّ فمُّكُّخُّقَّ) في معركتها الحاسمة لاسقاط بغداد، فجاء استعمال القنابل النووية الصغيرة في اكثر من منطقة في بغداد، في المطار وفي الكرخ، وذلك بعد تضييق الخناق على الاعلاميين في بغداد وقتل وجرح عدد منهم، كما حدث وراه الناس في جميع انحاء العالم من خلال البث الفضائي لمختلف التليفزيونات العربية والعالمية، للتعتيم الكامل على هذه العمليات الوحشية التي تعد خرقا للقانون الدولي باستعمال سلاح الدمار الشامل في الحرب ضد العراق.

«لقد تم استعمال قنابل نووية تكتيكية صغيرة في معركة المطار التي كان يقودها الرئيس العراقي صدام حسين بنفسه، وتم التراجع العراقي».

هذا هو اسلوب الحرب المافياوي الأمريكي البعيد عن ادنى مستويات الالتزام بالأخلاق العسكرية والانسانية البشرية في مختلف نزاعاتها، حتى الداخلية منها.

دخلت الادارة الأمريكية في الحرب ضد العراق بأكذوبة الحرب ضد الارهاب، وتدمير سلاح الدمار الشامل، ولكن كان الدور الأمريكي في هذه الحرب هو دور ارهابي كبير وضخم لا يمكن ان تمارسه إلا أكبر قوة ارهابية في العالم، كما استعملت هذه القوات جميع اسلحة الدمار الشامل من القنابل النووية الى اليورانيوم المنضب والقنابل العنقودية المحرمة دوليا. بجانب ذلك خالفت الولايات المتحدة جميع الاتفاقيات الدولية، والشرعية الدولية منذ البداية، بدءا من خوضها الحرب ضد الارر ادة الدولية واستمرارا بقصف المدنيين في بيوتهم الذي استمر بشكل متعمد ولفترة ثلاثة اسابيع، ولاتزال العمليات هذه مستمرة، بجانب الهجوم على المنازل لاعتقال الأسرى العزل من بيوتهم وتعريضهم لمواقف مذلة ومهينة ومرعبة مخالفة لجميع اتفاقيات جنيف للأسرى، باستباحة كامل الأرض العراقية بعد ذلك للنهب والسرقة التي تعاونت فيها القوات الأمريكية بالتشجيع على سرقة العراق وممارسة قواتها أنفسهم لهذه السرقات ولهذا الدمار، وضرب جميع المواقع المدنية والأثرية والعلمية والتعليمية التي تناقض جميع الاتفاقيات الخاصة بالحروب.

أين هي الشرعية الدولية اليوم؟

هل هذه الشرعية الدولية التي استمرت الأنظمة العربية تطالب العراق بالالتزام بتنفيذها طوال ثلاثة عشر عاما مقابل مناقشة قرار الحصار الجائر واللاانساني الذي أكل الملايين من الأطفال العراقيين وتغلغل في الأجساد العراقية من دون أي ذنب طوال ثلاثة عشر عاما؟

هل علينا تنفيذ هذه الشرعية التي تطبق على الدول الصغيرة فقط؟ أم علينا الاعتماد على القوات الأمريكية لمعرفة ما علينا تطبيقه مقابل قوت يومنا؟

هذه هي العولمة والنظام العالمي الجديد، وهذا هو القرن الأمريكي الجديد، وهذه هي اللبنات الأساسية في بنية الامبراطورية الأمريكية المهيمنة على العالم معتمدة بشكل كامل على جميع الأنظمة العربية المتجاهلة وغير المدركة لمصلحة شعوبها وأوطانها، في الوقت الذي عملت بكامل ارادتها على بيع العراق خوفا من البطش الأمريكي على ذواتها، كما هي معتمدة على جميع القوى السياسة العربية المتطاحنة حول منازعاتها الطائفية والمذهبية والأيديولوجية التي تنفخ فيها السياسة الأمريكية بكل قوتها.

احذروا الخداع الأمريكي، واحذروا ما هو قادم.

sameera@binrajab.com